شبهات وردود

قصـــة ذات أنـــواط

د.ماجد كارم

قصـــة ذات أنــواط

من الأحاديث التي تعد مطمعا لكل صاحب هوى، لذا كان واجبا علينا أن نلقى الضوء على بعض الأمور التي وردت بالحديث متجردين من وجهات النظر الخاصة، والتى ربَّما لو وضحت لما أصبح الحديث مطمعا لكل زائغ ولا بغية لكل مضل.

- وحديث ذات أنواط إذا سَلَّمْنا بصحة ثبوته، لم يَسْلَمْ لأحد دلالته في أنَّه طلبٌ من الصحابة للشرك، ولكن الكلُ يحاول أن يستخرج من الحديث بغيته.

- فالبعض يحلو له أن يوجه الحديث كدليل يعذر به مرتكب الشرك الأكبر:

- حيث يرى أنَّ الصحابة قد طلبوه ثم أنَّ الرسول وإن شدد عليهم فإنَّه عذرهم ولم يكفرهم وكل هذا يستنبطه هو حسب رؤيته ونظره الشخصى في الحديث، بالرغم من أنَّه حتى هذه لا تخلص لأحد، فليس في متون الحديث التي ذكرها الرواة رواية صريحة تفيد أنَّه كفَّرهم أو تفيد أنَّه لم يكفرهم، ذلك لأن الأمر لم يصل إلى الشرك أصلاً كما سنبيِّنهُ، وتغليظ الرسول عليهم بقوله في رواية أبى واقد عند الترمذى:

(الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة).

وبقوله في رواية الْمُزَنِيِّ عند الطبراني:

(إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، فَقَالَ: أَغَيْرَ اللَّه أَبْغِيكُمْ إِلَهًا، وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ).

- وكلتا الروايتين والتي بنى عليهما من ذهب لتكفيرهم بهذا الطلب ما بناه ليست قطعية في إثبات أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كفَّرهم به.

- فالكاف في لغة العرب تفيد التشبيه وليس المماثلة إلَّا إذا كان ما بعدها فيه تصريحا بتمام المشابهة، وهو ما أشار إليه ابن تيمية رحمه الله بقوله التشبه المطلق في اقتضاء الصراط المستقيم عند كلامه عن التشبه بالمشركين وذكر أنَّه يوجب الكفر.

- وإلى نفس هذا الفهم من الحديث ذهب الشاطبي عندما قال:

«فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا» . . . الْحَدِيثَ.

فَإِنَّ اتِّخَاذَ ذَاتِ أَنْوَاطٍ يُشْبِهُ اتِّخَاذَ الْآلِهَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا أَنَّهُ هُوَ بِنَفْسِهِ فَلِذَلِكَ لَا يَلْزَمُ الِاعْتِبَارُ بِالْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ مِثْلُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

- ووجه الشبه بين قول صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقول أصحاب موسى عليه السلام في طلب مشابهة المشركين هو أنَّ كلاهما يُعدُّ طلبا لمشابهة المشركين في عبادة يفعلونها، وأنَّ هذا الطلب كان طلبا ممن يقِرُّون له بحق التشريع لهم بلاغا عن ربِّه.

- ولكنَّ طلب أصحاب محمد صلى اللّٰه عليه وسلم لم يكن يشبه طلب أصحاب موسى عليه السلام تماما وليس هو نفسه، فطلب أصحاب موسى -حتى وإن كان ممن له حق التشريع لهم بلاغا عن ربِّه- طلبهم منه بمجرد رؤيتهم للمشركين عاكفين على آلهة لهم أن يجعل لهم إلها كما لهم ألهه وهذا يدل على أنَّهم اعتقدوا وقتها جواز إتخاذ آلهة مع اللّٰه وهذا شركٌ بيِّن، ولذلك قال لهم موسى عليه السلام كما ذكره سبحانه:" قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠)"الأعراف، فكان طلبهم وإن كان من رسولهم إلَّا أنَّه طلب ينقض توحيدهم للألوهية بلا شك.

- أمَّا طلب أصحاب محمد صلى اللّٰه عليه وسلم منه حيث هم يعرفون ويَقِرُّون بأنَّ له حق التشريع بلاغا عن ربِّه، طلبهم منه بمجرد رؤيتهم ذات أنواط كان أن يجعل لهم شجرة مثلها يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم طلبا للبركة ،والتي إن وافقه ربُّه فشرع لهم ذلك ستكون تلك البركة مستمدة من مباركة اللّٰه لها، وغاية ذلك أنَّهم طلبوا منسكامن الوجهة التي يمكن طلبه منها.

- وهذا الأمر بمجرده ليس فيه شركا أكبر أو حتى أصغر، وإن كان تقديما بين يدى اللّٰه ورسوله في طلب نسك لمجرد رؤية نسكا مشابها يقوم به المشركين لألهتهم، فهم مثلاً لم يذهبوا ويتخذوا من تلقاء أنفسهم شجرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم، حيث هم يعرفون أنَّهُ لا يمكن إلتماس البركة من شجر أو حجر أو غيره إلَّا أن يباركها اللّٰه ويجعلها منسكا لهم فيتبرَّكوا به مثل الحجر الأسود حيث نسك تقبيله أولمسه أوالإشارة إليه عند الطواف وماء زمزم الذى نسك الشرب منه والإكثار منه بقدر المستطاع.

- كما أنَّهم تبرأوا من ألهة المشركين التي يعبدونها ويظنون أنَّ لها تصرفا في ملك اللّه فهى تمنح البركة لمثل هذه الأشياء، فلما كانو يعلمون ذلك جيداً طلبوا ما طلبوا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ذلك حيث هو الصلة بينهم وبين ربهم بما يُوحَى إليه، فعلم من ذلك الطلب ذاته أنَّهم يقِرُّون أن البركة ليس لها مصدرٌ إلَّا من اللّه، كما أنَّ التشريع لهم لا يكون إلَّا عن طريق رسوله فطلبوها منه، ، فكيف يدَّعى عليهم مدعٍ أنَّهم أشركوا بذلك شركا أكبر أو أصغر!!!.

- ولكن سدا لذريعة طلب التشبه بالمشركين كلَّما رأوهم يقدِّمون عبادة لألهتهم بمثيلتها وإن قدمت للّه كان التغليظ من رسول اللّه عليهم كما ورد في الحديث، ولبيان ما يمكن أن يفضى إليه التشبه بالمشركين في تلك العبادات، كان مثال أصحاب موسى الذى ضربه لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

- وإلى نفس هذا المعنى ذهب ابن تيمية عندما علَّق على هذا الحديث في إقتضاء الصراط المستقيم جـ ٢ صـ ١١٧ بقوله:
(ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول اللّه اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال: «اللّه أكبر، قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم» فأنكر النبي صلى اللّه عليه وسلم مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم.فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟) أ.هـ

- ومثال ذلك كثير في سد ذريعة مشابهة المشركين في عبادة يقدمونها لألهتهم، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه(١٣٧٤/٢٧٨/٤) من حديث عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ وفيه:(فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ أَخْبِرْنِي عَنْ الصَّلَاةِ قَالَ صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنْ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّار).

ومعلوم أنَّ المسلم حين يسجد حتى حين تطلع الشمس إنَّما يسجد لله ولكن سداً لذريعة التشبه بالمشركين في عبادة يقدمونها لألهتهم التي يعبدون من دون الله، والتي قد تفضى إذا طال على الناس الأمد إلى عبادة تلك الألهة نفسها كما فعل قوم نوح، لذا كان هدى الرسول في الأمر بمخالفة المشركين والتحذير من التشبه بهم فيما يختصون به عموما وفي عباداتهم خصوصا.

....

- والبعض يوجه الحديث كطلبٍ للشرك ولكنه يعتبر أنَّهُ كان شركا أصغر:

وعلة ذلك حسب ما يراه أنَّه كان طلبا لإتخاذ شجرة تكون سببا تحصل به البركة وليس إلتماسا مباشرا للبركة من الشجرة نفسها، ولا أدرى من ذهب إلى مثل هذا التقسيم كيف سيفسر قول اللّٰه على لسان المشركين:"وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)" الزمر

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره:

(حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله:" وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى" قالوا: ما نعبد هؤلاء إلا ليقرّبونا، إلا ليشفعُوا لنا عند اللّٰه.) أ.هـ

- فواضحٌ أنَّهم ما قدَّموا لهم العبادات إلَّا ليكونوا سببا ليشفعوا لهم عند اللّٰه، فهم لم يعبدوهم لإلتماس الشفاعة منهم مباشرة، ومع ذلك ذكر اللّٰه عزَّوجلَّ كفرهم بذلك في كلام صريح فقال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ".

....

- والبعض يوجه الحديث على أنَّه من البدع المكانية

وهذا قد أخطأ الطريق من أوَّله، إذ البدع المكانية لا تكون في عبادة تقدم للأوثان، بل تكون لعبادة يقصد بها الشخص أن تكون للّٰه ولكنه خص بها مكانا أوبقعه لم يخصها الشارع بتلك العبادة وإنَّما كانت من مجرد إستحسانه لذلك.

وعلى هذا يُفهم قول ابن تيمية:

(فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية، أو جبلا، أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر اللّٰه سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعا.) أ.هـ

- والبعض الآخر يوجِّهون الحديث كطلب للتشبه بالمشركين:

ويرى أن مشابهة المشركين في الأعمال المخالفة لشريعة المسلمين التي يعملونها، لها أحكاما مختلفة بالقدرالمشترك الذى شابههم فيه، وإن كانت مجرد مشابهتهم في تلك الأعمال حرام في جميع الأحوال إلَّا أن بعضها أعظم من بعض، فمشابهتهم في الكفر أوالشرك غير مشابهتهم في الحرام وغير مشابهتهم في المعاصى وهكذا.

- ومن ذلك ما ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم جـ ١ صـ (٢١٣-٢١٥):

(وأيضا ما هو صريح في الدلالة ما روى أبو داود في سننه حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا أبو النضر يعني هاشم بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن ثابت حدثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»

وهذا إسناد جيد فإن ابن أبي شيبة وأبا النضر وحسان هم من رجال الصحيحين......ثم ذكر في باقى رجال السند قوله: ليس به بأس وهو ثقة وقال في آخر: هو مستقيم الحديث....إلى أن قال وقد احتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث.

ثم قال: وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: "وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة.

فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه فإن كان كفرا، أو معصية، أو شعارا لها كان حكمه كذلك.

وبكل حال يقتضي تحريم التشبه بعلة كونه تشبها) أ.هـ

وختاما، أناشدكم الله أن تتقوا الله في أحاديث نَبيِّه، وأن تتقوا الله في صحابة نَبيِّه

قصة ذات أنواط !!!

احتج من يري العذر بالجهل بهذا الحديث، وقالوا : بأن الصحابة قد ارتكبوا شركا أكبر عذرهم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بجهلهم ولم يكفرهم.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول :

أن ما طلبه الصحابة ليس من الشرك الأكبر بل هو من قبيل مشابهة المشركين، والمشابهة للكفار لا تقتضي كفر المشابه لهم في كل الأحوال.

ـ يقول ابن تيمية ـ:

(ولما كان للمشركين شجرة يعلقون بها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس : ((يا رسول اللّٰه اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : اللّٰه أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم) فأنكر النبي صلى اللّٰه عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذهم شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم ....) [اقتضاء الصراط المستقيم ص : ٣١٤].

- يقول الشاطبي - :

(فإن اتخاذ ذات أنواط يشبهه اتخاذ الآلهة من دون اللّه لا أنه هو نفسه) [الاعتصام الشاطبي ج ٢ / ٢٤٥].

- ويقول السيوطي :

(ومن البدع أيضا ما قد عم الابتلاء به تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد بالزعفران المجبول بماء الورد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد بما ليس عليهم، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم متقربون بذلك؛ ثم يتجاوزون في ذلك إلى تعظيم تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاء وقضاء الحوائج بالنذر لها، وتلك الأماكن من بين عيون وشجر وحائط وطاقة وعامود وما أشبه ذلك بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة، فيعلقون عليها أسلحتهم، ويعلفون عندها، ويذبحون لها، وفي رواية أخري : (خرجنا مع رسول اللّه عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثوا عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها، وينيطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول اللّه : اجعل لنا " ذات أنواط " كما لهم " ذات أنواط " فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " سبحان اللّه اللّه أكبر !! " كما قال قوم موسي لموسي : " اجعل لنا إلها كما لهم آلهة " قال : " والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم " فأنكر النبي صلى اللّه عليه وسلم مجرد مشابهتهم للكفار) الأمر بالاتياع والنهي عن الابتداع ج ١ / ٩ .

الوجه الثاني :

مما يدل على أن الصحابة لم يطلبوا شركا أنهم عرب أقحاح يفهمون اللغة والمعاني ويعرفون ماذا يريد منهم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، فقد دعاهم قبل ذلك، ويعرفون أن جعل إله آخر مع اللّٰه هو دينهم السابق، الذي كانوا عليه، وتركوه عن علم، فكيف يطلبون آلهة أخري وقد تركوها .

فإن قيل كيف تقولون بأن ما صدر من الصحابة ليس من قبيل الشرك الأكبر، والنبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : ((قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل ....))

فالجواب عن ذلك :

أن ذلك من قبيل الاستدلال بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر كما قال حذيفة لما رأي رجلا في عضده خيط : ﴿ وما يؤمن أكثرهم باللّٰه إلا وهم مشركون ﴾ وأن ذلك من باب ما يؤول إليه الأمر، ومن باب التغليظ كما في قوله صلى اللّٰه عليه وسلم للذي قال له : ما شاء اللّٰه وشئت فقال صلى اللّٰه عليه وسلم : " أجعلتني للّٰه ندا " .

الوجه الثالث :؛

أن المشبه يشبه المشبه به في بعض الأوجه دون بقيتها كما في قوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله)).

ومعلوم أن ثواب فاعل هذه الأشياء لم يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواء، ولو كان قدر الثواب سواءً لمصلي العشاء والفجر، لم يكن لمصلي العشاء والفجر في جماعة في قيام الليل منفعة، غير التعب والنصب.

-فإنَّ التوجيه المطلوب لهذه الواقعة يظهر بوضوحٍ في أنَّ أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إنما طلبوا مجرَّدَ المشابهة للمشركين لا عَيْنَ الشِّرك، حيث إنَّ سؤالهم له اتِّخاذَ ذاتِ أنواطٍ يشبه سؤالَ بني إسرائيل لموسى عليه السلام اتِّخاذَ الآلهة مِن دون الله لا أنه هو بعينه؛ ذلك لأنَّ التشابه في وجهٍ أو فردٍ لا يَلزم منه التشابهُ بينهما من كلِّ وجهٍ وفردٍ، كتعلُّق قلبِ المدمن بالخمر في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «مُدْمِنُ الخَمْرِ كعَابِدِ وَثَنٍ» خرجه ابن ماجه في «الأشربة» باب مُدْمِن الخمر (٣٣٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٥٣) من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما بلفظ: «مُدْمِنُ الخَمْرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللهَ كعَابِدِ وَثَنٍ».. فوجهُ التشابه بينهما أنَّ المدمنَ لا يكاد يمكنه أن يَدَع الخمرَ، كما لا يَدَعُ عابِدُ الوثن عبادتَه، ولم يقُلْ أحدٌ: إنَّ مدمن الخمر مشركٌ بهذه المشابهة في بعض الأفراد. ويمكن الاستئناس بأثر عليٍّ رضي الله عنه لَمَّا مرَّ على قومٍ يلعبون بالشطرنج قال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟أخرجه البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (١٠/ ٣٥٥)

وفي «شُعَب الإيمان» (٥/ ٢٤١)، عن الأصبغ بن نباتة عن عليٍّ رضي اللّٰه عنه. وأخرجه البيهقيُّ في «سننه» (١٠/ ٣٥٥)، وابن أبي الدنيا في «ذمِّ الملاهي» (٤٧)، من طريق مَيْسَرة بن حبيب. والأثر قال عنه ابن تيمية في [«مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٢٤٤)]: «ثابتٌ»، وصحَّحه ابن القيِّم في «الفروسية» (٣١٠)، وهو ضعيف على كل حال فشبَّههم بالعاكفين على التماثيل، لذلك فالتشبيه مِن هذا الوجه لا يَلزم منه بالضرورة المشابهةُ بينهما من كلِّ وجهٍ، قال الشوكانيُّ ـ: «هذا وعيدٌ شديدٌ، وتهديدٌ ما عليه مزيدٌ؛ لأنَّ عابد الوثن أشدُّ الكافرين كفرًا، فالتشبيه لفاعل هذه المعصية بفاعل العبادة للوثن مِن أعظم المبالغة والزجر»«نيل الأوطار» للشوكاني (١٠/ ١٢٩).

ومثله قوله صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ»أخرجه البخاريُّ في «مواقيت الصلاة» باب فضل صلاة العصر (٥٥٤)، ومسلمٌ في «المساجد ومواضع الصلاة» (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه.، قال ابن أبي العزِّ ـ: «وليس تشبيه رؤية اللّٰه تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا للّٰه، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئيِّ بالمرئيِّ» «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العزِّ (١/ ٢١٩).

قال ابن القيم ـ (ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه) اهـ [الداء والدواء ص : ١٨١].

فطلب الصحابة مشابه لطلب بني إسرائيل، في أن كلا منهما طلب أمر لا يجوز شرعا؛ إلا أن طلب بني إسرائيل في الشرك الأكبر، وطلب الصحابة هو في مشابهة المشركين .

أما من يقول (وأما الادعاء أن المشبه به غير المشبه، فيكفي في دفع ذلك أن يقال نعم هذا العمل ليس هو عين قول بني إسرائيل ولكنه من جنسه)

فالجواب عليه :

أنه إن كان يقصد بقوله (ولكنه من جنسه) أن كلا منهما شرك أكبر، فهذا قول باطل، وقد قدمنا الدليل على بطلانه.
وإن كان يقصد بذلك أنه من جنسه أي في أن كلا منهما لا يجوز طلبه فهذا صحيح.الصحابة لم يطلبوا شركا، ولا طلبوا من النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يأذن لهم بما كان يفعله المشركون، من عبادة غير اللّه.
فمن المحال أن يطلبوا ذلك كيف وقد كان أول ما يسمعه الواحد منهم قبل إسلامه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن أصل دينه الذي يدعوا إليه، هو البراءة من عبادة غير اللّه واجتناب الشرك بكل أنواعه، والسعي في هدمه، وإخراج الناس منه.
فهل يعقل مع هذا أن يتجرؤوا على طلب الشرك الصراح منه بعد إسلامهم، ومعرفتهم للتوحيد.
فإن الكفار والمشركين أنفسهم، كانوا يعلمون أن محمدا صلى اللّه عليه وسلم لا يرضي بالشرك، وأن دينه لا يأذن به، وقد أخبر اللّه عنهم بأنهم يقولون عن النبي صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ﴾ ...إلى أن يقول (وإنما طلبوا أن يجعل لهم النبي صلى اللّه عليه وسلم شجرة ينيطون ويعلقون بها أسلحتهم ، تبركا بذلك ظنا منهم أن ذلك مما يجوز للنبي صلى اللّه عليه وسلم فعله، وأنه مما أذن اللّه له فيه، كما كانوا يتبركون بآثاره في حياته فلا ينكر عليهم، وكما أجاز لهم تقبيل الحجر الأسود) اهـ

وأما من يقول (وسياق الحديث يدل على أن هذه الجماعة طلبت شجرة تعكف حولها، وتتبرك بها، كما يفعل المشركون، وهذا شرك، ففي الحديث أنهم حدثاء عهد بكفر، وهذا يرجح أنهم فهموا من هذا الذي قال المصطفي ـ وهم العرب الأقحاح ـ أن هذا الطلب شرك، وإلا فما معني قولهم ونحن حدثاء عهد بكفر)

فنقول ردآ عليه :

بل إن سياق الحديث يدل على أن الصحابة إنما طلبوا مجرد تعليق السلاح؛ لأنهم قالوا : (اجعل لنا ذات أنواط) وذات أنواط جمع نوط وهو مصدر ناطه أي علقه.وقال صاحب لسان العرب :

(ناط الشيء ينوطه نوطا علقه) [اللسان ج ٧ / ٤١٨].

وقال الملا على القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح :

(اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، أي شجرة نحن أيضا نعلق عليها أسلحتنا) اهـ [مرقاة المفاتيح ج ١٥ / ٣٨٣].

٢ ـ أما من يقول أن ما طلبه بعض الصحابة شرك بناء على قولهم : (حدثاء عهد بكفر).فكلمة حدثاء عهد بكفر تعني أنهم يخفي عليهم كثير من تفاصيل الدين، ولا تعني بالضرورة أن ما صدر منهم كفر ولا شرك.في صحيح البخاري (٥١٨٨) عن عائشة رضي الله عنها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال : ((سموا عليه أنتم وكلوه)) قالت : وكانوا حديثوا عهد بالكفر)

فهل يفهم من هذا أن ترك التسمية على الطعام كفر لأنها عللت ترك القوم لذلك لكونهم حدثاء عهد بكفر.

تعليقات مهمـــــــــــه

بل ولو سلم انهم طلبوها للتبرك فان التبرك ليس كله من الشرك الاكبر لان التبرك مشروع بما جعل اللّٰه فيه البركة كجسد النبي صلي اللّٰه عليه وسلم واما التبرك بالشئ الذي لم يرد ان اللّٰه جعله كذلك واعتقاد ان هذا الشئ جعله اللّٰه مبارك فهذا شرك اصغر الا ان اعتقدوا انه يتبرك به لذاته لا لكون اللّٰه جعل فيه البركه فلو سلم اذا جدلا بذلك لكان طلب الصحابة هو طلب ان يجعل اللّٰه لهم البركة في الشجرة ليتبركوا بها وهذا الطلب كان من النبي صلي اللّٰه عليه وسلم وفي حياته حال نزول الاحكام فلا يكون اذا لا اصغر ولا اكبر لانهم لم يتبركوا ولم يعتقدوا فيها البركة بل طلبوا من النبي صلي اللّٰه عليه وسلم شئ فمنعهم فامتنعوا ولكن هذا الشئ كان فيه مشابهة للمشركين في فعلهم فانكر النبي صلي اللّٰه عليه وسلم طلبهم مشابهة المشركين واللّٰه اعلم

هذا ان سلم بصحة الحديث حيث من علماء الحديث من ضعفة بل هذا هو الظاهر من اسانيده واللّٰه اعلم

حيث ورد باسنادين

١- إسناد سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي .

٢- إسناد كثير بن عبداللّٰه عن أبيه عن جده .

واسناد((حديث كثير بن عبداللّٰه عن أبيه عن جده ، قال الشافعي هذا إسناد الكذب ، فإذا ما علمنا أن هذا السند متهم في وضع الحديث)))

والاسناد الثاني عن سنان بن أبي سنان ، وهو مجهول جهالة حال كما قال العقيلي عندما روى حديث(السواك يزيد الرجل فصاحة) فقال العقيلي:(حديث عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان ، مجهول كشيخه ، والحديث منكر.)أ هـ.

وقول العقيلي هذا هو معتبر لعدة أسباب :
الأول: أن سنان بن أبي سنان قد تبين أمر جهالته هذا بسبب أن الراوي عنه هو تلميذ واحد الذي هو الزهري فقد روى عنه حديث(لاعدوى ولاطيرة) وحديث (الأعرابي الذي أستل السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم) وحديث (ذات أنواط).
قال المناوي في فيض القدير :عندما أورد حديث (السواك يزيد الرجل فصاحة) ،
قال:(هو من حديث عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان عن أبي هريرة ، قال ابن الجوزي حديث لا أصل له ، وعمر وسنان قال العقيلي: مجهولان ، والحديث منكر غير محفوظ ، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة عمر بن داود ، وقال مجهول كشيخه)أ ه قلت : شيخه هو سنان بن أبي سنان يروي عنه وليس له إلا هذا الطريق .

وذكر علي بن عراق - صاحب كتاب تنزيه الشريعة- حديث (من كانت في بيته شاة كانت في بيته بركه ....)الحديث ، قال: (هو من حديث أبي هريرة فيه عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان وهما مجهولان ، وقال الذهبي في ميزان الإعتدال في ترجمة عمر بن داود ، قال عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان عن أبي هريرة مرفوعاً السواك يزيد الرجل فصاحة ، قال العقيلي مجهول كشيخه والحديث منكر) أ هـ .

قال المزي في تهذيب الكمال عند ترجمة سنان بن أبي سنان(روى له البخاري ومسلم) ، قلت: روى له البخاري مقروناً بأبي سلمة في حديث جابر أخبر بأنه غزى مع الرسول صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد ، وحديث أبي هريرة لاعدوى ولا صفر ولا هامة، وكلا الحديثين رويا مقروناً مع أبو سلمة عبدالله بن عبدالرحمن وهو ثقة ، فالبخاري عول على أبي سلمة ، وسنان مقروناً معه ، والقاعدة عند أهل العلم أن البخاري إذا ذكر رجل مقروناً مع ثقة فهذا دليل على ضعفه ، لأنه لم يعتمده إستقلالاً ، وأما مسلم فذكر له كذلك حديث لاعدوى ولا صفر ولا هامة من حديث أبي سلمة ، وذكر سنان في الشواهد والمتابعات ، وحديث جابر غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد ، كذلك ذكره في المتابعات لأنه اعتمد على رواية أبي سلمة في الأصل . (وهذا دليل على أنه مجهول حال) ، لأن مسلم ذكر في المقدمة أنه يذكر المستور (المجهول حال) من باب التمييز والعلل والشواهد والمتابعات ، وهذا الذي يقال عنه من باب المتابعات والشواهد .

فائدة:ولايوجد في البخاري ومسلم لسنان إلا هذين الحديثين وعلى المشهور إن سنان بن أبي سنان ليس له إلا تلميذ واحد ، وأن زيد بن أسلم ليس من تلاميذه بل من تلاميذ أبيه (يزيد بن أمية) كما ذكره البخاري في التاريخ في ترجمة سنان بن أبي سنان ورقمها (٢٣٣٨) ، وما ذكره المزي في تهذيب الكمال واتبعه على ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب أن زيد بن أسلم من تلاميذ سنان بن أبي سنان فهذا ليس بصحيح ، وإنما هو من تلاميذ أبيه كما تقدم ، فوقع الخلط بينه وبين أبيه، ودليل إنه لا يوجد إسناد لزيد بن أسلم يحدث فيه عن سنان بن أبي سنان / هذا من ناحية السند

....

وفي متنه ايضا علة وهي ،،،

ذكر البخاري في تاريخه الكبير في ترجمة الحارث بن عوف (قال البخاري هو مدني وشهد بدراً مع النبي صلى الله علي سلم) ، وذكر ابن الأثير الجزري في أسد الغابة في ترجمة الحارث ، أنه شهد بدرا ، وقيل لم يشهدها وقيل من مسلمة الفتح ، والصحيح أنه شهد الفتح مسلما ،ويعد في أهل المدينة ، وقال ابن حبان في كتاب الثقات في ترجمته ، أنه شهد بدرا عداده في أهل المدينة وقال كذلك ابن حبان في كتابه مشاهير علماء الأمصار في ترجمته ، كان ممن شهد بدرا ، وقال صلاح الدين الصفدي في كتابه الوافي في الوفيات في ترجمته (هو أبو واقد قديم الإسلام إنه شهد بدرا وكان معه لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر ، يوم الفتح ، وقيل إنه من مسلمة الفتح والأول أصح، عداده في أهل المدينة . انتهى

– وبهذا يعلم أن أبا واقد الليثي من أهل المدينة ، هذا أولا ، وثانيا أنه ممن شهد بدرا مع النبي فبذلك يكون إسلامه قديما ، فقوله في حديث الترمذي كنا حديثي عهد بجاهلية هذه علة أخرى تقدح في متن الحديث

ومع ذلك كله :((فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله)) فهؤلاء لم يتمسكوا باية من كتاب اللّٰه متشابهة او بحديث صحيح ثابت متشابه بل بحديث لا يثبت سندا ومتنا وان ثبت فهو من المتشابه حيث هو ليس بحكم بل من القصص وقصص القران من المتشابة فكيف بالسنة فكيف بما لم يثبت منها فاما اهل الايمان والعلم فيتبعون المحكم ويردون اليه المتشابه واما اهل الكفر والعناد والزيع فيتبعون ما تشابه وقد بين تفسيره ان ثبت وبيان ماطلبه الصحابة واللّٰه المستعان.

«تقويم الصِراط» في تحقيق حديث «ذَات أَنْوَاط»!

حديث «ذات أنواط» من الأحاديث المشهورة الذي لا يخلو كتاب عقيدة منه، وقد بُني عليه بعض الأحكام الاعتقادية، ولا يزال موضوعه مُشكِلاً عند كثير من طلبة العلم.

وبعد التوقف فيه مدة طويلة فتح اللّه عزّ وجلّ عليّ (الحايك) بعلّة هذا الحديث استنباطاً من طريقة الإمام البخاري في كتابه العظيم «التاريخ الكبير».. وكذلك علة في متنه..

فجاء هذا البحث لتقويم الصراط – أي الطريق بالمعنى اللغوي- في هذا الحديث، وسميته: «تقويم الصِراط» في تحقيق حديث «ذَاتَ أَنْوَاط».

وسأقوم بتخريج الحديث أولاً، ثم بيان علته إن شاء اللّه تعالى.

تخريج الحديث:

رواه ابْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانِ الدِّيلِيِّ – أو: الدؤليّ- ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ حُنَيْنٍ فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكُفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَنُوطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ».

أخرجه معمر بن راشد في "جامعه" كما رواه عنه عَبْدُالرَّزَّاقِ (٣٦٩/١١) (٢٠٧٦٣). وهو في تفسير عبدالرزاق (٨٨/٢) (٩٣١).

وأخرجه أحمد في "مسنده" (٢٣١/٣٦) (٢١٩٠٠) عن عَبْدِالرَّزَّاقِ، عن مَعْمَر.

وأخرجه النسائي في "السنن الكبرى"، كتاب التفسير، باب: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، (١٠٠/١٠) (١١١٢١) عن مُحَمَّد بن رَافِعٍ، عن عَبْدالرَّزَّاقِ.

وأخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٦٨٢/٢) (١٤٤٣) عن إِبْرَاهِيم بن سَعْدٍ.

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤٤/٣) (٣٢٩٤) من طريق يَحْيَى الْحِمَّانِيّ، عن إِبْرَاهِيم بن سَعْدٍ.

وأخرجه الحُميدي في "مسنده" (٩٨/٢) (٨٧١)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٧٩/٧) (٣٧٣٧٥) كلاهما عن سُفْيَان بن عُيينة.

وأخرجه أبو يعلى الموصلي في "مسنده" (٣٠/٣) (١٤٤١) عن أبي بكر ابن أبي شيبة.

وأخرجه الترمذي في "جامعه"، كتاب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، (٤/٤٥) (٢١٨٠) عن سَعِيد بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَخْزُومِيّ، عن سُفْيَان.

وأخرجه البيهقي في "معرفة السنن والآثار" (١/١٨٦) (٣٢٩) من طريق الشَّافِعِيّ، عن سُفْيَانَ.

وأخرجه أحمد في "مسنده" (٣٦/٢٢٥) (٢١٨٩٧)، ومحمد بن نصر المروزي في "السنة" (٤٠)، والطبري في "تفسيره" (٩/٤٦-٤٥) من طريق عُقَيْل بن خَالِدٍ.

وأخرجه أحمد في "مسنده" (٣٦/٢٣٢) (٢١٩٠٢) عن إِسْحَاق بن سُلَيْمَانَ العبدي، عن مَالِك بن أَنَسٍ.

وأخرجه عبدالله بن مسلمة القعنبي في "زيادات الموطأ" كما في "إتحاف المهرة" و"التجريد" (ص٢٦٥)، ومن طريق القعنبي أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣/٢٤٤) (٣٢٩١)، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في "السنة" (٣٩) من طريق جويرية بن أسماء، كلاهما (القعنبي وجويرية) عن مالك بن أنس، بهذا الإسناد. وقال ابن عبدالبر: "ليس عند القعنبي في "الموطأ"، وهو عنده في "الزيادات"، وليس عند غيره، وقد رواه عن مالك: ابن وهب، والزبيري، وإبراهيم بن طهمان، وجويرية بن أسماء، وإسحاق بن سليمان".

وأخرجه ابن حبان في "صحيحه"، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ اتِّبَاعِ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَنَنَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، (٩٤/١٥) (٦٧٠٢) من طريق ابن وَهْبٍ، عن يُونُس بن يزيد الأيليّ.

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤٤/٣) (٣٢٩٣) من طريق يَحْيَى بن زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عن مُحَمَّد بن إِسْحَاقَ.

كلّهم (مَعمر، وإبراهيم بن سعد، وابن عيينة، وعُقيل بن خالد، ومالك، ويُونس، وابن إسحاق)، عن الزّهري، بهذا الإسناد، بنحوه.

وفي حديث إِبْرَاهِيم بن سَعْدٍ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ فَمَرَرْنَا عَلَى شَجَرَةٍ يَضَعُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ..».

وفي حديث مالك: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ..».

وفي حديث عُقيل بن خالد: «إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً».

وفي حديث يُونس: «لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ، خَرَجَ بِنَا مَعَهُ قِبَلَ هَوَازِنَ، حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى سِدْرَةِ الْكُفَّارِ: سِدْرَةٌ يَعْكِفُونَ حَوْلَهَا، وَيَدْعُونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ..».

قال الترمذي بعد روايته الحديث: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.. وَفِي البَاب عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ".

قلت: هذا الحديث لم يتعرّض له بتصحيح أو غيره إلا الترمذي، فإنه قال عنه: "حسنٌ صحيحٌ"، وظاهر إسناده الصحة، وسنؤخر الكلام عليه حتى نترجم للصحابي والتابعي.

ترجمة أبي واقدٍ:

هو: الحارث بن عوف، ويُقال: عوف بن الحارث، ويُقال: الحارث بن مالك بن أسيد بن جابر بن عبد مناة بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر عبد مناة بن علي بن كنانة بن خزيمة الليثي.

له صحبة، روى عن النبيّ صلى اللّٰه عليه وسلم، وعن أبي بكر وعمر، رضي اللّٰه عنهما.

روى عنه: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبو سعيد نافع بن سرجس، وعبيداللّٰه بن عبداللّٰه بن عتبة، وأبو مرة مولى عقيل بن أبي طالب، ويقال مولى أم هانئ بنت أبي طالب، وسنان بن أبي سنان الدؤلي، وعطاء بن يسار، وعبداللّٰه بن عبيد بن عمير، وبُسر بن سعيد، وقيل: إن أبا سعيد الخدري روى عنه.

شهد اليرموك والجابية، وقيل: إنه ولد في العام الذي ولد فيه ابن عباس كذلك.

اختلاف العلماء في شهوده بدراً!

وقد اختلفوا في شهوده بدراً:

فقال البخاري وابنُ حبان وأبو أحمد الحاكم والباوَرْديُّ: إنه شهد بدراً.

وقال ابن سعد: "أسلم قديما، وكان يحمل لواء بني ليث، وضمرة، وسعد بن بكر يوم الفتح، وحنين، وفي غزوة تبوك يستنفِرُ بني ليث، وكان خرج إلى مكة، فجاور بها سنة فمات".

وقال ابن عبدالبر: قيل: "شهد بدراً"، ورَدَّه الذهبي في "تجريد أسماء الصحابة"، فقال: "ليس بشيء".

وقال المزي: "في شهودِهِ بدراً نظرٌ".

وقال ابن حجر في "الإصابة": "لا يَثبُتُ".

وقد أنكر أبو نُعيم فيما نقله ابن حجر على مَن قال: إنه شهد بَدراً، وقال: "بل أسلم عامَ الفتح، أو قبلَ الفتح، وقد شهد على نفسه أنه كان بحُنين، وقال: ونحن حديثو عهدٍ بكُفْرٍ". وهو الحديث محل البحث.

قال أبو نُعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٧٥٨/٢): "وقال القاضي أبو أحمد في "تاريخه": "شهد بدراً"، وأراه وهما، والصحيح

أنه أسلم عام الفتح؛ لأنه شهد على نفسه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بحنين ونحن حديثو عهد بكفر، وليس لشهوده بدراً أصل".

قال ابن حجر في "الإصابة": "وقد نصّ الزّهريّ على أنه أسلم يوم الفتح، وأسند ذلك عن سنان بن أبي سنان الدئلي، أخرجه ابن منده بسند صحيح إلى الزهري".

ثم قال: "ومستند من قال: إنه شهد بدراً: ما أورده يونس بن بكير في مغازي ابن إسحاق عنه، عن أبيه، عن رجال من بني مازن، عن أبي واقد، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه بسيفي فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله.

ويعارض قول من قال إنه شهد بدراً ما ذكره الواقدي أنه مات سنة ثمان وستين، وله خمس وسبعون، فإنه يقتضي أنه ولد بعد وقعة بدر. وقيل: مات ابن خمس وسبعين سنة، فعلى هذا يكون في وقعة بدر ابن اثنتي عشرة سنة، وعلى هذا ينطبق قول أبي حسان الزيادي إنه ولد في السنة التي ولد فيها ابن عباس. ووافق أبو عمر على ما قال الواقدي، ثم قال: وقيل مات سنة خمس وثمانين، وبهذا الأخير جزم البغوي وآخرون. ونقل البخاري أنه مات في خلافة معاوية، وأخرج البخاري بسند حسنٍ عن إسحاق مولى محمد بن زياد أنه سمع أبا واقد يقول: رأيت الرجل من العدو يوم اليرموك يسقط فيموت. وأخرجه خليفة من هذا الوجه، فقال: إسحاق مولى زائدة، وزاد في آخره: حتى قلت في نفسي لو أن أضرب أحدهم بطرف ردائي مات.

قال ابن عساكر في إسناد ابن إسحاق: من لا يعرف. والصحيح ما قال الزهري، عن سنان. والقصة التي ذكرها ابن إسحاق إنما كانت لأبي واقد يوم اليرموك. كما تقدم."

قلت:

القصة التي رُويت يوم بدر من طريق أحمد بن عبد الجبار: حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني والدي إسحاق بن يسار: حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي قال: "إني لأتبع يوم بدر رجلاً من المشركين لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله".

قال ابن عساكر: "كذا في هذه الرواية وليست بمحفوظة، وفي إسنادها من يجهل، وإنما كان كذلك يوم اليرموك، وقد تقدم أنه أسلم يوم الفتح".

يقصد ما رواه ابن أبي خيثمة، عن سليمان بن داود الهاشمي، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي: "أن أبا واقد الليثي أسلم يوم الفتح". [تاريخ دمشق: ٢٧٧/٦٧].

قلت: ما رواه الزهري هنا هو أصلاً مأخوذ من حديث ذات أنواط لأن فيه أنهم خرجوا لحنين بعد فتح مكة وكانوا حديثي عهد بجاهلية.

والقصة التي رواها ابن إسحاق وإن كان فيها "رجال من بني مازن" لم يسموا إلا أنها أقرب لأحداث غزوة بدر حيث رُويت بعض الأحاديث تؤيد قتال الملائكة في بدر.

وقصة اليرموك مختلفة قليلاً! وهي ما رواه محمد بن أبي نجيح: أخبرني إسحاق مولى زائدة: أخبرنا أبا واقد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره: أنه شهد اليرموك قال: "رأيت الرجل من العدو يسقط فيموت، فقلت في نفسي: لو أني أضرب أحدهم بطرف ردائي ظننت أنه سيموت".

ففي قصة بدر أنه كان يتبع الرجل فيهوي عليه بسيفه فيرى رأسه يسقط، يعني أن غيره سبقه إليه فقتله، وفي قصة اليرموك كان يرى الرجل من العدو يسقط وحده فيموت! ولم يأتنا في أي رواية في الكتب الحديثية أو كتب التاريخ أن هذا حصل يوم اليرموك وأن العدو كان يسقط وحده فيموت!!!

فالقصة ألصق ببدر لا باليرموك، والله أعلم.

تعليل أبي زُرعة لرواية ابن بُكير عن ابن إسحاق!

ثم تبيّن لي أن أبا زُرعة الرازي قد أعلّ رواية يونس بن بُكير عن ابن إسحاق وأن ذكر «أبي واقد» فيها خطأ!!

قال ابن أبي حاتم في "علل الحديث" (٤٧٨/٦): وسمعتُ أَبَا زُرْعَةَ وَذَكَرَ حَدِيثًا حدَّثنا بِهِ عَنْ محمَّد بن عبدالله بْنِ نُمَير، عَنْ يُونُسَ بْنِ

بُكير، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسار؛ قَالَ: حدَّثني رجلٌ مِنْ بَنِي مازن، عَنْ أَبِي واقِدٍ اللَّيثي؛ قَالَ: إِنِّي لأَتْبَعُ يَوْمَ بَدْر رَجُلا من المشركين لأضربَه فَوَقَعَ رأسُه قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، فعرفتُ أنَّ غَيْرِي قَتَلَهُ.

فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: "هَذَا عِنْدِي خطأٌ؛ والصَّحيحُ مَا حدَّثنا يوسفُ بنُ بُهْلول، عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضِ بَنِي مازِن، عَنْ أَبِي دَاوُدَ المازِني - وكَانَ شَهِدَ بَدْرًا - قَالَ: إِنِّي لأتبعُ رَجُلا مِنَ الْمُشْرِكِينَ...".

قَالَ: وحدَّثنا عبدالرحيم بْنُ مُطَرِّف، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَزِيع، عَنْ محمَّد بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رجالٍ مِنْ بَنِي مازِنٍ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ المازِني.

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: "الصَّحيحُ: «أَبِي دَاوُدَ المازِني»، وَالَّذِي قَالَ: «عَنْ أَبِي واقِد» فقد أخطأ".

ورواه أبو نُعيم في "معرفة الصحابة" (٢٠١٣/٤) (٥٠٦١) من طريق مُحَمَّد بن سَلَمَةَ الْحَرَّانِيّ: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثني أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي مَازِنٍ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا.

قلت: وأصحاب ابن إِسْحَاق يختلفون عَلَيْهِ كثيراً، لكن هؤلاء ثلاثة (ابن إدريس وابن بُزيع ومحمد بن سلمة) اتفقوا على ذكر «أبي داود»، وتفرد ابن بُكير بذكر «أبي واقد»، ولا شك أن رواية الجماعة أرجح.

وعلى هذه الرواية اعتمد أهل العلم في ذكر أبي داود المازني في شهوده بدراً.

قال خليفة بن خياط في "الطبقات" (ص: ١٦١): "أبو داود المازني، اسمه عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. أمه نائلة بنت أبي عاصم بن إساف بن غزية بن عطية بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم، شهد بدرًا".

وقال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٣٦٧/٩): "أبو داود المازني، وقد كان شهد بدراً، روى محمد بن اسحاق عن أبيه عن رجل من بنى مازن عنه، فيما رواه محمد بن سلمة، ورواه يعقوب الزهري عن عمر بن نجيح عن محمد بن إسحاق عن أبيه عن حفص بن مازن عن أبي داود المازني".

وقال ابن قانع في "معجم الصحابة" (٢١٧/٢): "أَبُو دَاوُدَ الْمَازِنِيُّ عَمْرٌو وَقِيلَ: عُمَيْرُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَنْسَاءَ بْنِ مَبْذُولِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَزْرَجِ".

ثم ذكر (٢٠١٣/٤): "عَمْرُو بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَنْسَاءَ بْنِ مَبْذُولِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمِ بْنِ مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ أَبُو دَاوُدَ الْمَازِنِيُّ، شَهِدَ بَدْرًا، نَسَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ فِيمَا حَكَى عَنْهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: اسْمُهُ عُمَيْرٌ".

ثم ذكر (٢٠٨٥/٤): "عُمَيْرُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَنْسَاءَ بْنِ مَبْذُولٍ الْأَنْصَارِيُّ أَبُو دَاوُدَ الْمَازِنِيُّ، مِنْ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، شَهِدَ بَدْرًا".

وروى من طريق ابن لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، "فِي تَسْمِيَةِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، مِنْ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي خَنْسَاءَ بْنِ مَبْذُولِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنْمِ بْنِ مَازِنٍ: عُمَيْرٌ، وَيُكَنَّى أَبَا دَاوُدَ، ابْنُ مَالِكِ بْنِ خَنْسَاءَ بْنِ مَبْذُولٍ".

قلت: لم يذكر البخاري في كتابه «أبا داود» هذا! مع أنه ذكر ابنه «داود بن أبي داود» (٣/٢٣٠) فقال: "دَاوُد بْن أَبِي دَاوُد المازني وهو دَاوُد بْن عامر المازني الْأَنْصَارِيّ الْمَدَنِيّ".

وعليه فالرواية التي اعتمدها بعض أهل العلم على شهود أبي واقد بدراً فيها نظر! إلا أن يكون هناك ما يدلّ عندهم شهودها غير هذا الدليل، والقدماء على أنه أسلم قديماً، وإسلامه قديماً لا شك أنه يجعله يشهد تلك المعركة الأولى، والله أعلم.

وعلى فرض أننا لم نجد ما يدلّ على أنه شهد بدراً، فقد نقل أهل العلم أنه أسلم قديماً، ولم يذكر أنه أسلم يوم الفتح إلا أبو سنان صاحب هذا الحديث!

ومع كلّ هذا فالذي يظهر لي أن إسلامه كان قديماً، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وشهد الفتح، ثم رجع إلى مكة وجاور بها، ولهذا قال البخاري في "التاريخ الكبير" (٢/٢٥٨): "الحارث بْن عوف أَبُو واقد الليثي: مديني، شَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وقال ابن حبان في "الثقات" (٧٢/٣) – وتبعه ابن عبدالبر في "الاستيعاب" (١٧٧٤/٤)، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٥٧٥/٢)-: "عِدَادُهُ فِي أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ"، ويقول: "وَشَهِدَ الفَتْحَ، وَسَكَنَ مَكَّةَ".

ومال إلى شهوده بدراً ابن عبدالبر، فإنه قال في "الاستيعاب" (١٧٧٤/٤): "قيل: أنه شهد بدرًا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ قديم الإسلام، وَكَانَ معه لواء بني ليث وضمرة وسعد بْن بكر يوم الفتح. وقيل: إنه من مسلمة الفتح. والأول أصح وأكثر"، يعني: أن الأصح والأكثر على أنه قديم الإسلام، وأنه شهد بدراً.

وقال ابن حبان في "مشاهير علماء الأمصار" (ص: ٤٧): "كان ممن شهد بدراً، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة".

قلت: وهم ابن حبان في قوله إنه توفي بالمدينة، بل توفي بمكة كما سيأتي والخلاف في وفاته.

أخرج الحاكم في "المستدرك" (٦١٢/٣) من طريق مُحَمَّد بن عُمَرَ الواقدي، قال: حدثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: "عُدْنَا اللَّيْثِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَمَاتَ فَدَفَنَّاهُ بِمَكَّةَ فِي مَقْبَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ بِفَخٍّ".

قال الواقدي: "وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَقْبَرَةَ الْمُهَاجِرِينَ؛ لِأَنَّهُ دُفِنَ فِيهَا مَنْ مَاتَ مِمَّنْ كَانَ أَتَى الْمَدِينَةَ، ثُمَّ حَجَّ وَجَاوَرَ، فَمَاتَ بِمَكَّةَ فَكَانَ يُدْفَنُ فِي هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ مِنْهُمْ أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ، وَعَبْدُ للَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُمَا، وَمَاتَ أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً».

قال محمد بن سعد: "في الطبقة الثالثة من بني ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة أبو واقد الليثي واسمه في رواية محمد بن عمر: الحارث بن مالك، وفي رواية هشام بن محمد بن السائب: الحارث بن عوف، وفي رواية غيرهما: عوف ابن الحارث بن أسيد بن جابر بن عويرة بن عبد مناة بن شجع بن عامر بن ليث. وأسلم أبو واقد قديماً، وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر يوم الفتح، وبعثه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حين أراد الخروج إلى تبوك إلى بني ليث يستنقذهم لغزو عدوهم، وقد روى أبو واقد عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أحاديث وبقي بعده زماناً، ثم خرج إلى مكة فجاور بها سنة فمات" [تاريخ ابن عساكر: ٦٧/٢٧٤ – ٢٧٥].

وقال سَعِيد بن كَثِيرِ بن عُفَيْر: "أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفِ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَوْثَرَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ يَشْجُعَ بْنِ عَامِرٍ، وَكَانَ قَدِيمَ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مَعَهُ لِوَاءُ بَنِي لَيْثٍ، وَضَمْرَةَ، وَسَعْدِ بْنِ بَكْرٍ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَبَقِيَ أَبُو وَاقِدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَانًا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَجَاوَرَ بِهَا سَنَةً وَمَاتَ بِهَا". [المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/٦١١)]

تنبيه:

بعد أن ذكر الذهبي في "سيرأعلام النبلاء" (٢/٥٧٥) القصة التي ذكرها ابن إسحاق أنه شهد بدراً، ذكر أيضاً ما رواه الزهري عن سِنَانِ بن أَبِي سِنَانٍ الدُّؤْلِيِّ: أَنَّ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ أَسْلَمَ يَوْمَ الفَتْحِ! ثم قال: "قُلْتُ: عَلَى هَذَا يَكُوْنُ أَبُو وَاقِدٍ صَحَابِيَّيْنِ".

وقال في "تاريخ الإسلام" (٢/٧٥٠): "قلت: فما يبعد أن يكون أبو واقد رجلين".

قلت: بل هذا بعيدٌ جداً!! فهما واحد اختلف في وقت إسلامه.

اختلاف العلماء في وفاته:

وقد اختُلِفَ في سنة وفاته وسِنِّه الذي تُوُفِّيَ فيه، وجمهور أهل العلم على أنه توفي سنة (٦٨هـ).

وقد ذهب إلى هذا: إبراهيم بن المنذر الحزامي، وأحمد بن عبد الله بن عبدالرحيم، وأبو حسّان الزيادي، ويحيى بن بُكير، وابن نُمير، وأبو حفص الفلاس، وابن زَبْرٍ، والمدائني، والهيثم، وخليفة، وابن حبان، وغيرهم.

زاد الحزامي: "وهو ابن خمس وسبعين سنة".

وقال يحيى بن بكير والفلاس وابن حبان: "وسنّه سبعون سنة".

وقال الواقدي: "وهو ابن خمس وستين سنة"، ونقل عنه ابن سعد: "وهو ابن خمس وثمانين".

وقال المدائني: "مات وهو ابْن خمس وَسِتِّينَ سنة".

ونقلوا عن الوَاقِدِيّ أنه قال: "تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ".

وقال أبو نعيم الحافظ: "مات سنة خمس، وقيل ثمان وستين".

قلت: الظاهر أن معظم أهل العلم تتابعوا على أنه مات سنة (٦٨هـ)، لكنهم اختلفوا في سنّه لما مات.

قال ابن حجر في "تهذيب التهذيب" (٢٧٠/١٢): "قلت: على قول يحيى بن بكير يكون ما قاله أبو حسان الزيادي موافقاً عليه، وأما قول الواقدي فيكون ولد بعد بدر بسنتين، وأما قول من قال: مات وهو ابن خمس وسبعين فهو قول غريب! والذي في كتاب ابن سعد عن الواقدي: وهو ابن خمس وثمانين سنة، وقد نقله كذلك عنه: ابن جرير والبغوي والكلاباذي وغيرهم".

وصحح ابن حجر في "التقريب" (ص٦٨٢) أنه توفي سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين.

وقال في "الإصابة" (٣٧١/٧): "ويُعارض قول من قال إنه شهد بدراً ما ذكره الواقدي أنه مات سنة ثمان وستين، وله خمس وستون، فإنه يقتضي أنه ولد بعد وقعة بدر. وقيل: مات ابن خمس وسبعين سنة، فعلى هذا يكون في وقعة بدر ابن اثنتي عشرة سنة (!!)، وعلى هذا ينطبق قول أبي حسان الزيادي إنه ولد في السنة التي ولد فيها ابن عباس. ووافق أبو عمر على ما قال الواقدي، ثم قال: وقيل مات سنة خمس وثمانين، وبهذا الأخير جزم البغوي وآخرون. ونقل البخاري أنه مات في خلافة معاوية".

ورجّح ابن الأثير في "أسد الغابة" (٦٢٨/١) أنه مات سنة ثمان وستين، وعمره خمس وسبعون سنة، وقال: "وكأن هذا أصح، لأنه إذا كان عمره سبعين سنة عَلَى قول من يجعله توفي سنة ثمان وستين يكون له في الهجرة سنتان، وفي حنين عشر سنين، فكيف يشهدها، وَإذا كان له خمس وسبعون سنة يكون له في حنين خمس عشرة سنة، وهو أقرب، والله أعلم".

لكن البخاري يذهب مذهبا آخر؛ فإنه ذكره في "التاريخ الأوسط" في (ذكر من مَاتَ فِي سنة أَرْبَعِينَ إِلَى خسمين وَنَحْوهَا)، ثم قال (٩٧/١): حَدثنَا أَبُو عَليّ اللَّيْثِيّ قَالَ: "مَاتَ أَبُو وَاقد الحَارث بْن عَوْف اللَّيْثِيّ فِي خلَافَة مُعَاوِيَة، وَكَانَ شهد صفّين مَعَ عَليّ رَضِي اللَّه عَنهُ".

قلت: كأنّ البخاري يرى أن وفاته كانت بين سنة (٤٠) إلى (٥٠هـ)، وعليه فيكون شهوده بدراً قويّ جداً؛ لأن إسلامه كان قديما، وكأنه بسبب الاختلاف في وفاته اختلف أهل العلم في سنّه الذي توفي فيه؛

واستلامه راية قومه في فتح مكة يدلّ على كِبرِ سنّه في ذلك الوقت وتقدمه عليهم أيضاً، وكأن هذا بسبب شهوده بدراً.

والخلاصة أنه أسلم قديماوأنه شهد بدراً، وكان يحمل راية قومه في فتح مكة، وشهد صفين مع عليّ، وهاجر للمدينة، ثم رجع لمكة ومات بها. وجاءت عنه سبعة أحاديث، وقال أبو القاسم البغوي في "معجم الصحابة" (٤٥/٢): "وقد روى أبو واقد عن النبي صلى الله عليه وسلم عشرة أحاديث".

ومما يؤيد أن أبا واقد أسلم قديما – وذكّرني به بعض الإخوة جزاه اللّه خيراً– ما رواه الإمام مسلم في "صحيحه" (٦٠٧/٢) (٨٩١) من حديث عُبَيْدِاللّه بْنِ عَبْدِاللّه، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ ﴿ق. وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، وَ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾».

وهذا يدلّ على أنه قديم الصحبة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى يسأله عمر بماذا كان يقرأ في العيدين، إذ لو كان أسلم يوم الفتح لكان عمر أدرى بما كان يقرأ في العيدين منه؛ فعمر من المهاجرين الأُول، فربما كان نسي ما كان يقرأ صلى اللّه عليه وسلم في العيدين أو أنه لم يكن قد حضر بعض الأعياد لسفره أو كونه خارج المدينة، فاحتاج أن يسأل القدماء الذين صحبوه صلى اللّه عليه وسلم، فسأل أبا واقدٍ عن ذلك.

وكذلك الحديث الذي رواه الترمذي في "جامعه" (١٢٦/٣) (١٤٨٠) من طريق عَبْدالرَّحْمَنِ بن عَبْدِاللّه بْنِ دِينَارٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: «قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَجُبُّونَ أَسْنِمَةَ الإِبِلِ، وَيَقْطَعُونَ أَلْيَاتِ الغَنَمِ، فَقَالَ: مَا قُطِعَ مِنَ البَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ مَيْتَةٌ».

قال الترمذي: "وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إلاَّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ، وَأَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ اسْمُهُ الحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ".

قلت: هذا الحديث ضعيف؛ عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار ضعيف، والمحفوظ أن الحديث يُروى عن زيد بن أسلم مرسلاً، ويُروى عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلاً، أيضاً.

فذكر أبي واقد فيه لا يصح كما في "علل ابن أبي حاتم" (٣٥٤/٤) و"علل الدارقطني" (٢٩٧/٦)، لكن ذكرته من باب إلزام الترمذي به؛ لأنه حسّن هذا الحديث الذي يدلّ على قدم إسلام أبي واقد، وهو نفسه صحح له حديث ذات الأنواط الذي فيه أنه أسلم يوم الفتح!!

هل سمع عطاء بن يسار من أبي واقد؟

وهنا فائدة أيضا في مسألة سماع "عطاء بن يسار المدني" من أبي واقد؛ فعطاء من طبقة سنان بن أبي سنان، وكلاهما مدنيّ.

رُويت بعض الأحاديث عن عطاء بن يسار عن أبي واقد، ولا يصح منها شيء؛ فبعضها إما الصواب فيه الإرسال كما في هذا الحديث، ولا يصح فيه ذكر أبي واقد، وبعضها يرويها بعض الضعفاء عن عطاء بن يسار!

لكن لما روى الترمذي هذا الحديث في "العلل الكبير" (ص: ٢٤١) قال: "سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الحَدِيثِ فَقُلْتُ لَهُ: أَتَرَى هَذَا الحَدِيث مَحْفُوظًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لَهُ: عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ أَدْرَكَ أَبَا وَاقِدٍ؟ فَقَال: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَدْرَكَهُ، عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ قَدِيمٌ".

قلت: رأى البخاري إدراك عطاء بن يسار أبا واقد؛ لأنه قديم، وكذا سنان بن أبي سنان لا شك أنه أدرك أيضاً أبا واقد، لكن لا يوجد ما يدلّ على أنهما سمعا من أبي واقد أو حتى أنهما لقياه!!!

الكلام على الحديث:

بالنظر إلى ترجمة أبي واقد نجد أن من صحح الحديث كالترمذي لم يستبعد سماع سنان بن أبي سنان له من أبي واقد، سيما وسنان قد سمع من جابر بن عبدالله الأنصاري (مات بالمدينة بعد السبعين).

وسنان لم يرو عن أبي واقد إلا هذا الحديث، وقد تفرّد به عنه! ولم يذكر سماعه فيه.

وهذا الحديث معلول بعدة علل، هي:

الأولى: الانقطاع = عدم السماع.

فسنان بن أبي سنان لم يسمع من أبي واقد، بل لم يلقه. وهذا هو رأي البخاري من خلال ترجمته لسنان في كتابه، فلا يُعرف له سماع منه.

قال في "التاريخ الكبير" (٤/١٦٢): "سنان بن أبي سنان الدؤلي ثم الجدري: سَمِعَ: جَابِرا وأبا هُرَيْرَةَ وحسين بْن علي.

وَقَالَ ابْن إِسْحَاق: الدؤلي ثم الجدري، وَقَالَ ابْن أَبِي عتيق وابْن أخي الزُّهْرِيّ: الدؤلي.

وَقَالَ لَنَا أَبُو صَالِحٍ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عَقِيلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ ثُمَّ الْجَدَرِيُّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ».

وَقَالَ مالك وإبراهيم بْن سَعْد وشعيب: الدؤلي، وَقَالَ مَعْمَر وابْن عيينة : الديلي.

وَقَالَ ابْن مسافر عَنِ ابن شهاب عن أبي سنان الدولي عَنِ ابْن عَبَّاس – فِي الحج. وَقَالَ عَبْد الجليل بْن حميد وسُلَيْمَان بْن كثير، عَنِ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي سنان الديلي – بِهذا.

ويقَالَ الدؤلي من بني حنيفة، والديل من بني كنانة، وَقَالَ زيد بْن أسلم: نا أَبُو سنان يزيد بن أمية الدؤلي" انتهى.

قلت:

من خلال النظر في هذه الترجمة يتبيّن لنا أن البخاري أثبت سماعه من جابر وأبي هريرة وحسين بن علي، ثم ساق له حديثه عن أبي واقد يريد بذلك بيان أنه لم يسمع منه، ولهذا لم ينصّ على سماعه منه مع منْ أثبت سماعه منهم.

وعادة البخاري من خلال الاستقراء أنه إذا ذكر سماع الراوي من بعضهم، ثم جاء بحديث في الترجمة له عن راوٍ آخر لينبّه على أنه لم يسمع منه، وهو بذلك يُعلل الحديث الذي يسوقه في الترجمة بعدم السماع.

ولو ثبت عنده أنه سمع منه لكان هذا الحديث يصلح عنده في الشواهد؛ لسياقة طرفه «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ»!

فالبخاريّ يُعلل الأحاديث ويبين الانقطاع بين الرواة من خلال التراجم، وهذا يحتاج لِمراس في كلامه ومنهجه، وهو كما قال شيخه إسحاق بن راهويه لّما صنَّف البخاريّ "تاريخه الكبير" أخذه فأدخله على عبدالله بن طاهر، فقال: "أيها الأمير ألا أريك سحراً؟ قَالَ: فنظر فيه عبدالله بن طاهر فتعجب منه، وَقَالَ: "لست أفهم تصنيفه".

قلت: صدق، والله.. فكتابه هذا كالسحر لا يفهمه أيّ واحد! ويحتاج أن نخرج هذا السحر منه.. فكلّ ما ألّف من رسائل علمية (ماجستير ودكتوراه) لم تف بما فيه! وإنما هي في أكثرها دراسات وَصْفية. رحم الله البخاري.. أيّ عقل كان يملك! وأيّ عبقرية كانت عنده!

فإيراده هذا الحديث في ترجمته من أجل تعليله؛ ولأنه لم يثبت سماع سنان من أبي واقد فهذه علّته.

ونُنبه هنا كذلك على إيهام الترمذي عندما صحح الحديث ثم قال: "وَفِي البَاب عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ"!

فحديث ذات أنواط لا يُعرف من حديث أبي سعيد ولا حديث أبي هريرة، وإنما الذي يُعرف عنهما هو هذا الطرف فقط «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ»! فقوله هذا من باب الإيهام والتلبيس!!

ومما يؤيد القول بأن سنان بن أبي سنان لم يسمع من أبي واقد الليثي: أنه لم يرو هذا الحديث أحد من أصحاب أبي واقد! وكذلك جاور أبو واقد مكة ومات بها على رأي البخاري في خلافة معاوية بين سنة (٤٠ – ٥٠هـ)، ولا نعرف لسنان رواية عن أهل مكة!

ومن الغريب أن الزهريّ يتفرد بالرواية عن سنان، ويروي أيضا عن أبيه أبي سنان!

قال مسلم في "المنفردات والوحدان" (ص: ١٢١) (٢٣٤): "وَمِمَّنْ روى عَنهُ الزُّهْرِيّ مِمَّن لم يرو عَنهُ أحد سواهُ فِيمَا علمنَا... وَسنَان بن أبي سِنَان الدؤَلِي...".

وقد ذكر البخاري في ترجمة سنان: "وَقَالَ ابْن مسافر عَنِ ابن شهاب عن أبي سنان الدؤلي عَنِ ابْن عَبَّاس – فِي الحج. وَقَالَ عَبْدالجليل بْن حميد وسُلَيْمَان بْن كثير، عَنِ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي سنان الديلي – بِهِذا".

قلت: يريد البخاري بيان الاختلاف في نسبتهم: الدؤلي أم الديلي؟! وكأن هذا الاختلاف من الزهري نفسه، فقد اختلف عليه الرواة في حديث سنان، وفي حديث أبي سنان!

وفي هذا إشارة أيضا إلى أن سنان بن أبي سنان لم يسمع من الصحابة الذين كانوا في مكة كابن عبّاس (مات سنة ٦٨هـ بالطائف)، وإنما يروي والده عن ابن عباس.

وأبو سنان ترجم له البخاري في "التاريخ الكبير" (٣٢٠/٨) فقال: "يَزِيدُ بنُ أُمَيَّةَ أَبُو سِنَانِ الدُّؤَلِيُّ: سَمِعَ عَلِيًّا قَالَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ وَهُوَ يَقُولُ سَتُضْرَبُ ضَرْبَةً هَا هُنَا وَأَشَارَ إِلَى صُدْغِهِ فَيَكُونُ أَشْقَاهَا كَمَا كَانَ عَاقِرُ النَّاقَةِ أَشْقَى ثَمُودَ. وقَالَ حسان عَنْ عَبْدالله السعدي.

وقَالَ لنا عَبْدُاللَّهِ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ عَنْ زيد بْن أسلم سَمِعَ أبا سنان الدؤلي مثلهُ.

وَعَنْ رَوْحِ بْنِ مُسَافِرِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سِنَانِ الدُّؤَلِيِّ عَنِ ابْن عَبَّاس قَالَ: كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ.

وقَالَ ابْن أَبِي مريم: نا مُوسَى بْن سلمة سَمِعَ عَبْد الجليل بْن حميد عَنِ الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي سنان الدؤلي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَوَى سُلَيْمَان بْن كثير عَنِ الزُّهْرِيّ قَالَ: أخبرني عَنْ أَبِي سنان الدؤلي عن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَوَى سفيان بْن حسين عَنِ الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي سنان عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْله".

وقال عبدالرحمن ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٢٥١/٩): "يزيد بن أمية أبو سنان الدؤلي، ويقال: الديلي، حجازي، وُلد زمن أحد. روى عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي واقد الليثي. روى

عنه: زيد بن أسلم والزهري ونافع مولى ابن عمر. سمعت أبي يقول ذلك".

قال عبدالرحمن: سئل أبو زرعة عنه، فقال: "مديني ثقة".

قلت: قد فرّق البخاري بين هذا وبين الذي ولد زمن أحد!!

قال في "التاريخ الكبير" (٣١٩/٨): "يزيد بْن أمية أَبُو سنان الدؤلي. قَالَ لي ابْن منصور: نا وهب قَالَ: حدثني أَبِي قَالَ: سَمِعَت يعلى بْن حكيم عَنْ نافع، قَالَ: أراد هشام بن إسماعيل يزيد بْن أمية أبا سنان الديلي - وكَانَ ولد زمن أُحد - على أن يسبَّ علياً، فقَالَ: لا نسبُّه، ولكن إن شئت قمت فذكرت أيامه الصالحة ومواطنه".

هكذا فرّق بينهما في "التاريخ الكبير" ولكنه جمع بينهما في "التاريخ الأوسط"!

فقد ذكره في "الأوسط" (٢٠٦/١) في "فصل من مات ما بين الثمانين إلى التسعين".

قال: حَدثنَا إِسْحَاق قَالَ: أخبرنَا وهب قَالَ: حَدثنَا أبي قَالَ: سَمِعت يعلى بن حَكِيم عَن نَافِع: أدْرك هِشَام بن إِسْمَاعِيل يزِيد بن أُميَّة أَبَا سِنَان الدؤَلِي - وَكَانَ ولد زمن وقْعَة أحد - أَن يسب عليا، قَالَ: "لَا، إِن شِئْت ذكرت أَيَّامه الصَّالِحَة ومواطنه".

قال: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي سِنَان يزيد بن أُمَيَّة الدؤل: سمع عليا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تضرب ضَرْبَة حَتَّى تخضب لحيتك".

قال: حَدثنَا عبدالله قَالَ: حَدثنِي اللَّيْث قَالَ خَالِدٌ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَن أَبَا يسَار الدؤلي حَدَّثَهُ: سَمِعَ عَلِيًّا بِهَذَا، وَسِنَانٌ أَصَحُّ". يعني: سنان بدل يسار، والصواب: "أن أبا سنان" لا "أن أبا يسار".

وما ذكره أبو حاتم من أنّ أبا سنان روى عن أبي واقد لم أجد ذلك، وهذا محتمل فهو قد توفي في السنة نفسها – كما رجّح جمهور العلماء- التي مات فيها ابن عباس.

ويُحتمل أن ذلك اشتبه عليه بابنه! لأن الذي يروي عن أبي واقد هو ابنه سنان بن أبي سنان، فقد يكون هناك سقط في الإسناد الذي اعتمده أبو حاتم، سقط اسم "سنان"، وتحرّف "بن" إلى "عن" فصار: "عن أبي سنان"!! وهذا يحدث كثيراً في النُّسخ.

ويُحتمل أن حديث الحجّ هذا يُروى عن سنان بن أبي سنان عن ابن عباس لا عن أبيه! وفي رواية عقيل عن الزهري عن سنان، كما أشار أبو داود في "سننه" (١٣٩/٢).

قال أبو داود: "هو أبو سنان الدؤلي، كذا قال: عبد الجليل بن حميد، وسليمان بن كثير، جميعاً عن الزهري، وقال عقيل، عن سنان".

فلعل الخطأ من الزهري؛ لأني أستغرب من رواية الزهري عن سنان وأبيه!! والله أعلم.

والحاصل أن رواية سنان بن أبي سنان عن المكيين لا تصح، وأبو واقد جاور بمكة بعد أن شهد صفين مع عليّ، ولا نعرف هذا الحديث عند أهل المدينة ولا أهل مكة!!

والخلاصة أنه لا يثبت لسنان بن أبي سنان سماعاً من أبي واقد، ولا يوجد له إلا هذا الحديث عنه، ولم يذكر فيه السماع، ومن أثبت هذا السماع فعليه بالدليل؛ وتصحيح الترمذي له تبعاً لظاهر الإسناد، وهو معروف بتساهله في التصحيح!

تنبيه:

قد يستدرك بعضهم علينا بما جاء عند ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" (١/٣٧) (٧٦): حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدٍ، حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَكَانُوا أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ...

فهنا قد ذُكر سماع سنان من أبي واقد؟!

قلت: كثير من السماعات "التحديث" أو "الإخبار" تكون في أصلها خطأ؛ إما تكون من الرواة أو من النسّاخ!! وهذا ما يُطلق عليه أهل

النقد في العلل "السماع الذي لا يصحّ"!! ولهذا كان النقاد يتحرون النسخ وأصولها، ويحرصون على إثبات السماعات بين الرواة.

ورواية إبراهيم بن سعد هذه رواه الطيالسي (٢/٦٨٢) (١٤٤٣) قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ... الحديث.

ولم يذكر سماعا.

ورواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣/٢٤٤) (٣٢٩٤) قال: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، حدثنا يَحْيَى الْحِمَّانِيُّ، حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا...

ولم يذكر سماعا هنا أيضا.

وأيضا ما جاء عند ابن حبان في "صحيحه" (١٥/٩٤) (٦٧٠٢) قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ سِنَانَ بْنَ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيَّ – وهم حلفاء بني الديل – أخبر أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ – وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ، خَرَجَ بِنَا مَعَهُ قِبَلَ هَوَازِنَ، حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى سِدْرَةِ الْكُفَّارِ: سِدْرَةٌ يَعْكِفُونَ حَوْلَهَا، وَيَدْعُونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ.. الحديث.

قلت: وهنا أيضا لا نعرف أن السماع هذا جاء في أصل الرواية! وابن حبان وشيخه يرويان من كتب مصنّفة! حتى التعريف الذي جاء في الحديث "وهم حلقاء بني الديل" لا يوجد في أصل الرواية عن الزهري؛ لأنه قد تقدّم الخلاف بين الرواة عن الزهري في نسبته "الدؤلي" أو "الديلي"!! فهذه تكون من بعض الرواة، وعليه فلا يمكن اعتماد مثل هذه الكتب المتأخرة، بل لا بدّ من ثبوت ذلك عن أهل النقد ونصّهم على ذلك، ولو صحّ ذلك لأثبته البخاري – كما أشرنا- في ترجمة سنان مع من أثبت سماعه منهم، والله أعلم.

فمسألة وجود السماعات في بعض الروايات لا نثبت فيها صحته؛ لأنها قد تكون خطأ!! وخاصة في المصنفات المتأخرة، ولهذا لا يعجبني ما أصّله ابن حجر وغيره من كون ورود الحديث في بعض الكتب كالمستخرجات وفيها التصريح بالسماع أنها تدفع تدليس الراوي الذي وردت روايته العنعنة في بعض طرق الحديث!!!

فهذا حديث كفارة المجلس الذي رواه ابن جُريج بالعنعنة وهو معروف بالتدليس، وقد أعلّه بذلك الإمام أحمد وأبو حاتم الرازي والدارقطني! مع أنه جاء في بعض الروايات تصريحه بالسماع في رواية حجاج ومخلد بن يزيد عنه، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في "النكت" (٧٢٥/٢) روايات من صرَّح بسماع ابن جريج له من موسى بن عقبة، ثم قال: "فزال ما خشيناه من تدليس ابن جريج بهذه الروايات المتضافرة عنه بتصريحه بالسماع من موسى".

فهل خفيت هذه الروايات عن هؤلاء الجهابذة ثم يعلّوه بالتدليس!!

نقل الدارقطني في "العلل" (٢٠٤/٨) عن الإمام أحمد أنه قال: "وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ ابْنُ جُرَيْجٍ دلَّسه عن موسى بن عقبة؛ أخذه من بعض الضعفاء عنه"، ثم قال الدارقطني: "والقول كما قال أحمد".

فهؤلاء ثلاثة من أئمة النقد وجهابذته لم يعتدوا بما جاء مصرحا بالسماع في بعض الروايات، ويبعد جدًّا أن تخفى عليهم، لكنهم لم يعتدّوا بها.

الثانية: نكارة المتن!

والحديث فيه نكارة واضحة على اعتبار أن أبا واقد شهد بدراً، وفي الحديث أنه أسلم يوم الفتح وقال: "وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ"!!!

والراجح عند البخاري وغيره أنه شهد بدراً، وأسلم قديما، فلا يمكن أن يقول هذا القول وهم في طريقهم إلى حُنين!!

وأبو واقد كما هو ظاهر في الحديث وقد أسلم يوم الفتح بحسب الحديث يتكلم عن نفسه ومن أسلموا حديثاً بأنهم كانوا حديثي عهد بجاهلية، فلا يُقال: إنه عنى غيره، ولم يتحدث عن نفسه!! سيما وهو أسلم معهم كما في هذا الحديث – عند من يقول بصحته-!! فهو يُخبرعن نفسه ومن أسلموا معه بقوله: "ونحن..." فهو من ضمنهم. وكذلك قوله: "فقلنا...".

ثم ما طلبوه – وإن كانوا حديثي عهد بجاهلية- يُنافي أصل التوحيد الذي دخلوا الإسلام به! فما الفرق بين توحيدهم بنبذ الأصنام

وتبركهم بتلك الشجرة لو صحّ ذلك عنهم؟!!! كيف وهم قبل إسلامهم يعرفون ما هي دعوة النبي صلى اللّه عليه وسلم التي جاءت بهدم الشرك بكلّ صوره وهو في مكة ثلاث عشرة سنة!

وكذلك فلا يُعرف أنه كان للمشركين في الحجاز مثل الشجرة التي جاء ذكرها في هذا الحديث!! فالمعروف أن أهل الجاهلية من قريش والقبائل في الحجاز كانوا يعبدون الأصنام فقط، ولا يُذكر أنهم كانوا يعبدون الأشجار أو يتبركون بها ونحو ذلك. ولم يُنقل لنا ذلك إلا في هذا الحديث كما في كتاب الواقدي: "وَكَانَتْ لِكُفّارِ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْعَرَبِ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضْرَاءُ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلّ سَنَةٍ يُعَلّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، يَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا"! مع أن حالهم في الجاهلية – على شركهم- قد تناقله الصحابة ولم ينقلوا هذا، واللّه أعلم.

وقد ورد في بعض كتب السيرة بلا إسناد أنه كان لأهل نجران شجرة يعبدونها! وقد يكون صحيحا، وكلامنا عن قريش والقبائل التي كانت في الحجاز.

الثالثة: تفرّد سنان بن أبي سنان!

تشابه بعض ألفاظ الحديث مع حديث آخر رواه سنان بن أبي سنان عن جابر؟

لم أجد أحداً من أهل العلم ضعّف سنان بن أبي سنان صراحةً، إلا ما جاء عرضا في كلام العقيلي في ترجمة أحد الرواة، وسيأتي الكلام

عليه، لكن نصّوا على أنه تفرد بالرواية عنه: الزهري، وهو واحد من الذين انفرد الزهري بالرواية عنهم.

قال ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٢٤٩/٥): "سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّئِلِيُّ مِنْ أَنْفَسِهِمْ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً. رَوَى عَنْهُ الزُّهْرِيُّ، وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ".

وقال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٢٥٢/٤): "سنان بن أبي سنان الدؤلي، من أنفسهم، روى عن أبي هريرة وحسين بن علي وجابر بن عبدالله وأبي واقد الليثي، روى عنه الزهري. سمعت أبي يقول ذلك".

وقال ابن حبان في "الثقات" (٣٣٦/٤): "سِنَان بْن أَبِي سِنَان الدئلي، وهم حلفاء بني دئل، وَاسم أَبِي سِنَان: يزِيد بْن أُميَّة، يروي عَن أَبِي وَاقد اللَّيْثِيّ وَجَابِر وأَبِي هُرَيْرَة، رَوَى عَنْهُ الزُّهْرِيّ، مَاتَ سنة خمس وَمِائَة وَهُوَ ابن اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سنة، وَكَانَ مولده سنة ثَلَاث وَعشْرين".

وقال العجلي في "الثقات" (ص: ٢٠٨): "سنان بن أبي سنان الديلي: مدني، تابعي، ثقة".

وقال الذهبي في "الكاشف" (٤٦٨/١): "ثقة".

قلت: هو مستور الحال! ولا يوجد ما يدلّ على أنه ثقة! وهو قليل الحديث، وقد روى له البخاري مقروناً بغيره، وكذا فعل الإمام مسلم في المتابعات.

أخرج البخاري في "صحيحه"، بَابُ مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ القَائِلَةِ، (٣٩/٤) (٢٩١٠) قال: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَ: "أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، - ثَلاَثًا -" وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ".

ثم رواه في موضع آخر (١١٤/٥) (٤١٣٤) قال: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سِنَانٌ، وَأَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ جَابِرًا أَخْبَرَ: أَنَّهُ «غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ».

قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ،

فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ " ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم رواه في بَابُ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، مِنْ خُزَاعَةَ، وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ، (١١٦/٥) (٤١٣٩) قال: حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا" قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخرجه مسلم في "صحيحه" (٥٧٦/١) (٨٤٣) قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللّٰهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ»، قَالَ: فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَأَغْمَدَ السَّيْفَ، وَعَلَّقَهُ، قَالَ: فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ.

ثم رواه في موضع آخر (١٧٨٦/٤) (٨٤٣) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرٍ.

[ح] وحَدَّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا قَالَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ " ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَخْبَرَهُمَا، أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ يَوْمًا، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ وَمَعْمَرٍ.

قلت: فهذا الحديث خرّجه البخاري ومسلم عن الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة كلاهما عن جابر، فسنان قد توبع عليه، وذكر فيه أنه سمعه من جابر، ولهذا أثبت البخاري له السماع من جابر في ترجمته، وتخريجه لحديثه مقروناً بأبي سلمة – وهو من أقران سنان، ولد سنة بضع وعشرين، ومات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة- من باب التأكيد على صحة الحديث إذ أن أبا سلمة من كبار الثقات، ولولا أن أبا سلمة رواه لما خرّج البخاري رواية سنان وحدها، والله أعلم.

فسنان إذا تفرّد بحديث فلا يقبل منه، وهو يحتاج لمن يتابعه كما هو صنيع الإمامين: البخاري ومسلم، على أن العلّة الحقيقية للحديث هي الانقطاع بينه وبين أبي واقد؛ لأنه لم يذكر سماعاً منه.

والذي يظهر لي أنّه حصل خلطٌ للتشابه بين هذين الحديثين اللذين يرويهما سنان بن أبي سنان! ففي حديث "ذات أنواط" أنهم كانوا في غزوة ومروا بشجرة يعلق عليها المشركون سيوفهم! وفي حديث جابر هذا أنهم كانوا في غزاة، ونَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ – شجرة ذات شوك- وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ.

والذي يظهر لي أن هذه الشجرة هي نفسها الشجرة التي جاءت في حديث جابر، ومن هنا جاء التخليط ربما لسنان فيه!

فالواقدي لما ساق حديث الزهري في "مغازيه" (٨٩١/٣) أتبعه بحديث ابن عباس في الحديث نفسه – وسيأتي في الشواهد-.

قال: حَدّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ شَجَرَةً عَظِيمَةً، أَهْلُ الْجَاهِلِيّةِ يَذْبَحُونَ بِهَا وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمً.. وذكره.

قالَ: قَالَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ: لَمّا كُنّا دُونَ أَوْطَاسٍ نَزَلْنَا تَحْتَ شَجَرَةٍ وَنَظَرْنَا إلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَحْتَهَا، وَعَلّقَ بِهَا رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَيْفَهُ وَقَوْسَهُ. قَالَ: وَكُنْت مِنْ أَقْرَبِ أَصْحَابِهِ إلَيْهِ. قَالَ: فَمَا أَفْزَعَنِي إلّا صَوْتُهُ: يَا أَبَا بُرْدَةَ! فَقُلْت: لَبّيْكَ! فَأَقْبَلْتُ سَرِيعًا، فَإِذَا رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَالِسٌ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّ هَذَا الرّجُلَ جَاءَ وَأَنَا نَائِمٌ، فَسَلّ سَيْفِي ثُمّ قَامَ بِهِ عَلَى رَأْسِي فَفَزِعْت بِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمّدُ، مَنْ يُؤَمّنُك مِنّي الْيَوْمَ؟ قُلْت: اللّهُ!

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَوَثَبْت إلَى سيفي فسللته، فقال... فذكر الحديث بطوله.

قلت: الظاهر أن قول أبي بردة تابع لإسناد الحديث الذي قبله، وإسناده لا يصح، لكن واضح فيه أن كلا الحديثين اللذين عند سنان بن أبي سنان في حديث واحد هنا، والشجرة نفسها هي التي نزل تحتها النبي صلى الله عليه وسلم وعلق عليها سيفه.

وفي صحيح مسلم (١٠٧٩/٢) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: "أَنَّ رَسُولَ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا.." الحديث.

والظاهر أن حديث ذات أنواط دخل في هذا الحديث، وهذا ما يُفسر وجود الحديثين عند سنان بن أبي سنان! والله أعلم.

حديث سنان بن أبي سنان عن أبي هريرة:

خرّج مسلم في "صحيحه" (١٧٤٢/٤) (٢٢٢٠) من طريق يُونُس، عن ابن شِهَاب: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، حِينَ قَالَ رَسُولُ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللّٰه فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيُجْرِبُهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟».

صحيح مسلم (٤/ ١٧٤٣)

ثم رواه من طريق صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ وَغَيْرُهُ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللّٰه بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ.

ثم رواه من طريق شُعَيْب، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا

عَدْوَى» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، وَصَالِحٍ، وَعَنْ شُعَيْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ ابْنِ أُخْتِ نَمِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ».

قلت: أخرج مسلم حديث سنان عن أبي هريرة في المتابعات، تابعه أبو سلمة بن عبدالرحمن، ولهذا أثبت البخاري سماعه له في ترجمته.

هل سنان بن أبي سنان مجهول؟!

ذكر العقيلي في "الضعفاء" (٣/١٥٦): "عُمَر بن دَاوُدَ عَنْ سِنَانَ بْنِ أَبِي سِنَانَ، كِلَاهُمَا مَجْهُولٌ، وَالْحَدِيثُ مُنْكَرٌ غَيْرُ مَحْفُوظٍ، وَمُعَلَّى بْنُ مَيْمُونٍ ضَعِيفٌ".

ثم ساقه من طريق مُعَلَّى بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ سِنَانَ بْنِ أَبِي سِنَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السِّوَاكُ يَزِيدُ الرَّجُلَ فَصَاحَةً».

قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: "وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ".

قلت: حكم العقيلي على سنان بن أبي سنان هنا بأنه مجهول! وكأنه لم يتنبّه إلى أنه سنان بن أبي سنان الدؤلي، وإنما ركّز على الراوي عنه وهو "عمر بن داود"، وعادة يتكلم العقيلي على صاحب الترجمة ويذكر أحيانا كلاما في شيخه تبعاً وربما دون تحقيق.

والعلّة في الحديث كما ذكر هو "عمر بن داود"، لكن ابن عدي جعل العهدة فيه على "معلى بن ميمون"، ولهذا أورده في ترجمته من كتابه (٩٩/٨) مع أحاديث أخرى، ثم قال في آخر ترجمته: "ولمعلى بْن مَيْمُون غير ما ذكرت من الأحاديث والذي ذكرت والذي لم أذكره كلها غير محفوظة مناكير".

والخلاصة أن سنان بن أبي سنان ليس بمجهول، وإنما هو مستور الحال كما بيّنت آنفا.

شاهد لحديث أبي واقد!

روى الأزرقي في "أخبار مكة" (١٣٠/١) قال: حَدَّثَنِي جَدِّي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ شَجَرَةً يُعَظِّمُهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، يَذْبَحُونَ لَهَا، وَيَعْكُفُونَ عِنْدَهَا يَوْمًا، وَكَانَ مَنْ حَجَّ مِنْهُمْ وَضَعَ زَادَهُ عِنْدَهَا وَيَدْخُلُ بِغَيْرِ زَادٍ؛ تَعْظِيمًا لَهَا، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ قَالَ لَهُ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «هَكَذَا فَعَلَ قَوْمُ مُوسَى بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

يقول الذهبي في إسناد مثل هذا في "سير أعلام النبلاء" (٨١/٢): "إِسْنَادُهُ وَاهٍ".

وهو كذلك، فالواقدي متّهمٌ بالكذب، وابن أبي حبيبة وهو: إبراهيم بن إسماعيل الأشهلي الأنصاري المدني: منكر الحديث!

قال البُخارِيّ: "إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري: مدني، يحدث عن داود بن الحصين، منكر الحديث".

وقال النسائي: "إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة مدني ضعيف".

وقال عثمان بن سَعِيد: سَأَلتُ يَحْيى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أبي حبيبة؟ فقال: "صالح".

وقال عَبَّاسُ بْنُ مُحَمد الدوري: سَمِعْتُ يَحْيى بْنَ مَعِين يَقُولُ: "إبراهيم بن إسماعيل ليس بشَيْءٍ".

وقال أبو طالب أحمد بن حميد: سألت أحمد بن حنبل عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة؟ فقال: "من أهل المدينة ثقة".

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن إبراهيم بن أبي حبيبة؟ فقال: "شيخ ليس بقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به، منكر الحديث". [الجرح والتعديل: ٨٣/٢].
وذكره ابن عدي في كتابه في الضعفاء "الكامل" (٣٨٣/١) وذكر له بعض المناكير التي يرويها عن داود بن الحصين: "ولإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة غير ما ذكرته من الأحاديث، ولم أجد له أوحش من هذه الأحاديث، وَهو صالح في باب الرواية، كما حُكِيَ عن يَحْيى بن مَعِين، ويكتب حديثه مع ضعفه".

شاهد آخر:

روى ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/١٥٥٤) (٨٩١٠) عن أبيه. والطبراني في "المعجم الكبير" (٢١/١٧) (٢٧) عن مَسْعَدَة بن سَعْدٍ العَطَّار، كلاهما عن إبْرَاهِيم بن المُنْذِر، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إسْمَاعِيل بْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَنَحْنُ أَلْفُ وَنَيِّفٌ فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ مَكَّةَ وَحُنَيْنَ حَتَّى إذَا كُنَّا بَيْنَ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ أَرْضُ شَجَرٍ، مِنْ سِدْرَةٍ كَانَ يُنَاطُهَا السِّلاحُ فَسُمِّيَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَفَ عَنْهَا فِي يَوْمٍ صَائِفٍ إِلَى ظِلٍّ هُوَ أَدْنَى مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قالت بنوا إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةً فَقَالَ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فضلكم على الْعَالَمِينَ﴾!

قلت: هذا إسناد متروك! فيه: كَثِير بن عَبْدِاللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْف بْنِ زَيْد بْنِ مِلْحَة الْمُزَنِيّ: لَيْسَ بِشَيْء.

قال ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ: سَمِعْتُ يَحْيى بْنَ مَعِين يَقُولُ: "كثير بن عبدالله المزني حديثه ليس بشَيْءٍ، ولا يكتب".

وقال العباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: "كثير بن عبدالله المزني ضعيف الحديث".

وقال أبو طالب: سألت أحمد - يعني ابن حنبل - عن كثير بن عبد اللّٰه بن عمرو بن عوف؟ فقال: "منكر الحديث ليس بشيء".

وقال عبدالرحمن ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عن كثير بن عبداللّٰه بن عمرو بن عوف؟ فقال: "واهي الحديث ليس بقوي".

قال عبدالرحمن: سئل أبي عن كثير بن عبداللّٰه بن عمرو بن عوف؟ فقال: "ليس بالمتين". [الجرح والتعديل (٧/١٥٤)].

وقال النسائي: "متروك الحديث".

وقال ابن حبان في "المجروحين" (٢/٢٢١): "مُنكر الحَدِيث جداً؛ يروي عَن أَبِيه عَن جده نُسْخَة مَوْضُوعَة، لا يحلّ ذكرهَا فِي الْكتب وَلَا الرِّوَايَة عَنهُ إِلَّا على جِهَة التَّعَجُّب؛ وَكَانَ الشَّافِعِي رَحمَه الله يَقُول: كثير بن عبداللَّه الْمُزنِيّ ركن من أَرْكَان الكَذِب".

والخلاصة أن حديث «ذات أنواط» حديث معلول لا يصح؛ وشواهده واهية.

وهم لابن القيّم في عزو الحديث للبخاري!

قال ابن القيّم في "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" (١/٢٠٥): "فروى البخاري في صحيحة عن أبي واقد الليثي قال..."، فذكر الحديث.

قلت: وهذا العزو وهم من ابن القيم – رحمه اللّٰه- فإن البخاري لم يخرّج حديث «ذات أنواط»!

وهذا آخر البحث في تقويم صراط الحديث، وكشف علّة حديث مما يفرح به أهل النّقد كما قال الإمام الحافظ عَبْدالرَّحْمَنِ بن مَهْدِيّ: «لَأَنْ أَعْرِفَ عِلَّةَ حَدِيثٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْتَفِيدَ عَشَرَةَ أَحَادِيثَ»، وعليه أختم هذا البحث بعنوان آخر يصلح له: «الاغْتِبَاط» ببيان عِلل حديث «ذَاتَ أَنْوَاط»!

د.ماجد كارم